لسان الدين بن الخطيب: حياته ومؤلفاته في التراجم الأندلسية(*)

تحت إشراف
أ.د. منى شاكر عبد اللطيف
كلية الآداب – جامعة القاهرة

شيماء حسين الشربيني
كلية الآداب. جامعة حلوان

الملخص

كان عصر مملكة غرناطة من العصور المتميزة فكريًّا وثقافيًّا في دولة الإسلام في الأندلس، وكان كذلك عصر نضج وازدهار. وكان القرنان السابع والثامن الهجريين في مملكة غرناطة بالنسبة لدولة التفكير والفكر الأندلسي في أعظم صوره. وتعتبر الحركة الفكرية في غرناطة هي نتيجة روافد كثيرة سابقة عليها ويمكن القول إنها محصلة الثروة الفكرية في الأندلس طوال قرون عدة سبقت.

وقد عُرف عن حكام غرناطة ملوك بني الأحمر أنهم كانوا يعملون على تشجيع الآداب والعلوم، وظهر عدد كبير من العلماء الأعلام في مختلف التخصصات من الأدباء والعلماء والشعراء والكُتّاب منهم من بقي في الأندلس و منهم من رحل إلى المغرب أو مصر أو الشام.

وكما اهتم سلاطين بني الأحمر بتشجيع العلماء والمفكرين فإن عددا منهم كانوا شعراء ومؤرخين بما تميزوا به من شغفهم بالعلم واستقبال العلماء والشعراء في قصورهم.

ومن الملاحظ أن الحركة العلمية في مملكة غرناطة قد نشطت في جميع المجالات والفنون والعلوم المعروفة آنذاك فظهرت المؤلفات في علوم الشريعة واللغة العربية والأدب والتاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلات والرياضيات والفلك والطب وغيرها.

ويعتبر لسان الدين بن الخطيب من أعظم الشخصيات التي ظهرت في الأندلس في عصر مملكة غرناطة ولمؤلفاته المتنوعة دور كبير في إثراء التراث الأندلسي بأعمال متميزة في علوم كثيرة. وقد تعددت مؤلفات ابن الخطيب في ميدان التراجم فقدم لنا أربعة كتب تراجم من أهم كتب التراجم في التراث الأندلسي والأدب عصر نضج وازدهار، وفيه ظهرت طائفة من كبار المفكرين والشعراء، الذين أعادوا روعة الأدب.

الكلمات المفتاحية : تاريخ الأندلس، مملكة غرناطة ، التراجم الأندلسية، لسان الدين بن الخطيب، علماء الأندلس

(*) لسان الدين بن الخطيب: حياته ومؤلفاته في التراجم الأندلسية، المجلد الثاني عشر، العدد الثالث، يوليو ٢٠٢٣، ص ص٤٧-٧٩.

Abstract

The era of the Kingdom of Granada was one of the intellectually and culturally distinguished eras in the Islamic state of Andalusia, and it was also an era of maturity and prosperity. It was known that the rulers of Granada were working to encourage literature and sciences, and many prominent scholars appeared in various specializations, including writers, scholars, and poets and writers. Lisan al-Din ibn al-Khatib (d.1374 CE) stands as a towering figure in the rich intellectual history of Islamic Spain. This study explored his contributions to the cultural life of Granada during its final flourishing as the Kingdom of Granada (1228-1492 CE). To complete the research, it was necessary to rely first on the historical approach which relies on returning to the sources. The study also relies on the bibliographic approach. The study also used the individual evaluation approach, which is concerned with analyzing and studying reference books. One of the most important results of the research is that the era of the Kingdom of Granada was one of the intellectually and culturally distinguished eras in Andalusia, and Lisan al-Din Ibn al-Khatib is considered one of the greatest figures who appeared in Andalusia. The book "Al-Ihata" is considered one of the most important books in the history of Andalusia, and it is one of Ibn Al-Khatib's most famous works.

Keywords:

The Kingdom of Granada - Andalusian biographies- Lisan al-Din Ibn Al-Khatib - Scholars of Andalusia – individual evaluation approach.

١- تمهيد

كان عصر مملكة غرناطة من العصور المتميزة فكريا وثقافيا في دولة الإسلام في الأندلس، وكان كذلك عصر نضج وازدهار. وظهر في عصر مملكة غرناطة عدد كبير من المفكرين والشعراء الذين كان لهم دور كبير في استعادة رونق الأدب الأندلسي في أعظم عصوره.

وفى مملكة غرناطة بذل سلاطين بنو الأحمر أقصى ما في وسعهم في سبيل نشر العلم والثقافة في ربوع مملكة غرناطة، وتحديداً في العاصمة نفسها، فقد شجعوا العلماء والأدباء والكتاب وعمر بلاطهم بمشاهير منهم. كما عملوا على تشييد المدارس والمكتبات في المساجد ودور العلم، وكانوا يتفانون في سبيل توفير المناخ العلمي بالعاصمة غرناطة إحياءً لذكرى قرطبة الأموية وأملاً في أن تختلف غرناطة عن قرطبة في هذا الميدان.

٢- مشكلة الدراسة وأهميتها

وازدهرت حركة التأليف والتصنيف في الآداب والتراجم في غرناطة و ظهر عدد كبير من الأدباء المعروفين في هذا الوقت ونذكر منهم الأديب المؤرخ لسان الدين بن الخطيب الغرناطى صاحب المؤلفات الكبرى في شتى نواحي المعرفة بحيث يعد إنتاجه موسوعة علمية حقاً فقد كتب في التاريخ والأدب والفلسفة والتصوف والطب والموسيقى والفلك والسياسة، وقد بلغ ما كتبه حوالي خمسة وستين كتاباً، للأسف فقد معظمها وقت محنة نزوحه من الأندلس إلى المغرب في أخريات أيامه. ومن أهم مؤلفات ابن الخطيب والتي تشهد بازدهارها الحركة العلمية والأدبية بغرناطة موسوعته الكبيرة "الإحاطة في أخبار غرناطة".

و يعتبر ابن الخطيب أعظم شخصية ظهرت في الأندلس في القرن الثامن الهجري فقد كان ابن الخطيب عبقرية متعددة المواهب فهو طبيب وفيلسوف وكاتب وشاعر رفيع الشأن ومؤرخ بارع ووزير وسياسي ثاقب النظر.

كان ابن الخطيب بعبقريته وقوة نفسه وأصالة تفكيره، وروعة بيانه وقوة شعره يمثل أعظم ما انتجت الأندلس من النماذج العلمية والأدبية التي تزين تاريخ الأندلس الفكري والثقافي. ولغزارة انتاجه الفكري فقد ألّف أربعة من كتب التراجم الأندلسية ، وقد دَوّن ابن الخطيب ترجمة كاملة لنفسه في نهاية كتاب "الإحاطة". ومما سبق تتضح أهمية دراسة حياة ابن الخطيب الحافلة ومؤلفاته المتميزة.

وتكمن إشكالية البحث في دراسة حياة ابن الخطيب وحصر وتجميع مؤلفاته، فقد عاش ابن الخطيب حياة طوية حافلة بالأحداث. كان ابن الخطيب في أغلب فترات حياته ذو حظوة لدى ملوك بني الأحمر وكذلك ملوك المغرب .

وكذلك لكثرة الانتاج الفكري لابن الخطيب فقد كان يجب حصر وتجميع مؤلفاته المتنوعة والتعرف على اسهاماته في مجال التراجم الذي كان توجها متميزا بين علماء الأندلس عمد فيه المؤلفون إلى التأريخ للوطن والترجمة لرجاله وعلمائه المتميزون في جميع المجالات.

٣- أهداف الدراسة

تهدف دراسة حياة لسان الدين بن الخطيب ومؤلفاته في التراجم الأندلسية إلى معرفة:

١- الحياة في عصر مملكة غرناطة ٦٣٠ه-٨٩٧ه

٢- الظروف السياسية و الثقافية في عصر مملكة غرناطة.

٣- تأثير ابن الخطيب في الحياة الثقافية في الأندلس.

٤- مؤلفات ابن الخطيب في التراجم.

٥- المحتوى في تراجم ابن الخطيب.

٤-تساؤلات الدراسة

وللبحث في حياة لسان الدين بن الخطيب ومؤلفاته كان يجب الإجابة على مجموعة من التساؤلات:

١- ما طبيعة الحياة في عصر مملكة غرناطة عصر المؤلف؟

٢- ما الظروف السياسية والثقافية لعصر مملكة غرناطة؟

٣- ما الدور الذي قام به ابن الخطيب في الحياة الثقافية في عصره؟

٤- ما هي مؤلفات ابن الخطيب في التراجم الأندلسية؟

٥- ما محتوى التراجم في مؤلفات ابن الخطيب؟

٥- حدود الدراسة

الحدود الموضوعية: الحياة الثقافية في عصر مملكة غرناطة ومؤلفات لسان الدين بن الخطيب في التراجم.

الحدود الزمنية: عصر مملكة غرناطة ٦٣٠ه-٨٩٧ه.

الحدود اللغوية: اللغة العربية.

الحدود المكانية: مملكة غرناطة بالأندلس.

الحدود الشكلية: تراجم ابن الخطيب في شكلها الورقي.

٦- منهج الدراسة وأدواتها

ولإنجاز البحث في حياة ابن الخطيب ومؤلفاته في التراجم كان يجب الاعتماد أولا على منهج البحث التاريخي الذي يعتمد على الرجوع إلى المصادر الأصلية وكذلك نتائج الدراسات السابقة للوصول إلى حقائق علمية وتاريخية مثبتة للتعرف على عصر ابن الخطيب سياسيا وثقافيا وحياته وثقافته.

وكذلك تعتمد الدراسة على المنهج الببليوجرافي الذي يعتمد عليه في حصر وتجميع مفردات الدراسة محل البحث ثم منهج التقييم الفردي الذي يعنى بتحليل ودراسة كتب المراجع. وذلك بالعودة إلى الببليوجرافيات القديمة التي تحصر الإنتاج الفكري في التراث العربي وهي مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاشكبرى زادة ت٩٦٨ه. وفي هذه الببليوجرافية صنفت التراجم في باب علم التواريخ. وكشف الظنون في أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ت١٠٦٧ه وفيها حصر في باب علم التاريخ عدد كبير من كتب التراجم. واعتمدت الدراسة أيضا على كتب أدلة المراجع وهي الدليل الشامل لمراجع العرب: ببليوجرافية حصرية بما صدر من من الأوعية المرجعية العربية والمعربة حتى سنة ٢٠٠٠ لسعود عبد الله الحزيمي وتم البحث في عناوين المراجع العامة والتراجم المكانية-الأندلس، وكتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان وتم البحث في تراجم إنسانيات وتاريخ الأندلس، ودليل المراجع العربية والمعربة لعبد الجبار عبد الرحمن وتم البحث في عنوان تراجم وسير، المصادر العربية والمعربة لمحمد ماهر حمادة، وكتب المراجع الصادرة في البلاد العربية:دراسة تحليلية لمنى عبد اللطيف.

واعتمدت الدراسة أيضا في هذا الجزء على العودة إلى فهارس المكتبات التي عرف عنها الاهتمام باقتناء كتب التراث العربي وهي مكتبة الأزهر الشريف، ومكتبة الإسكندرية، ومكتبة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ومكتبة معهد المخطوطات العربية، ومكتبة القاهرة الكبرى، والمكتبة المركزية الجديدة بجامعة القاهرة، ودار الكتب والوثائق القومية. وتم البحث في فهرس الموضوعات بعدة كلمات مفتاحية هي: الأندلس-تراجم، والأندلس-تاريخ، والتاريخ الإسلامي-تراجم، والإسلام-تراجم، والعرب في إسبانيا-تراجم.

٧- الدراسات السابقة

تناولت بعض الدراسات السابقة ابن الخطيب ودوره في التأليف في علم التاريخ وكذلك تناولت بعض الدراسات العلاقة بين ابن العالمين الكبيرين ابن الخطيب وابن خلدون. وهي كالتالي :

١- انتصار عبد النبي عبد السلام. لسان الدين بن الخطيب مؤرخا/ إعداد انتصار عبد النبي عبد السلام؛ إشراف أشرف أحمد إبراهيم الشعراوي، صفي علي محمد. القاهرة:ا.عبد النبي،٢٠١٥. ٣٠٤ص. أطروحة (دكتوراه). جامعة عين شمس. كلية البنات. قسم التاريخ.

يعتبر ابن الخطيب موسوعة أدبية علمية إنسانية، لم تتوفر كثيراً فى الأندلس، حيث يتمتع بعمق البحث، وتنوع الثقافة، وسعة الإطلاع، وبراعة الشعر، ودقته فى التاريخ، ويأتى فى قمة هرم الأعلام الأندلسية، وهو أكبر كاتب أبدعته الأندلس فى عصورها الأخيرة.

وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، وخاتمة تناولت المقدمة اسباب اختيار الموضوع وتعريف بأهم المصادر والمراجع، والمنهج الذى استخدم فى الدراسة، وأما التمهيد وعنوانه "الكتابة التاريخية قبل عصر ابن الخطيب فقد قسمته الباحثة إلى مبحثين؛ الأول: عن مرحلة النشأة والتكوين فى القرنين الثانى والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين. والمبحث الثانى: عن مرحلة النضج والاكتمال من أوائل القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى إلى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى.

أما الفصل الأول وعنوانه "العوامل المؤثرة فى فكر ابن الخطيب التاريخى". فقد تم من خلاله بيان الظروف المحيطة بابن الخطيب والجو الذى عاش فيه فى بلاط بنى نصر. ثم سيرة حياة ابن الخطيب من حيث نسبه، ومولده، ونشأته، وألقابه، وثقافته، وشيوخه، وموقعه فى بلاط بنى نصر، ووزارته الأولى ثم لجوئه إلى المغرب، ثم وزاراته الثانية، وأخيراً محنته ووفاته.

وتناول الفصل الثانى: عرضاً لمصنفات ابن الخطيب سواء فى مجال التاريخ وعلى

رأسها وأهمها كتب الإحاطة واللمحة البدرية وأعمال الأعلام، وفى مجال السياسة، وأيضاً الكتب الأدبية بما تضمنته من كتب للتراجم، وأخرى للنثر والشعر. بالإضافة إلى مؤلفاته فى مجال الجغرافيا، والفلسفة، والتصوف وعلوم الشريعة، وأخيراً مؤلفاته فى الطب وعلوم الحيوان.

واختص الفصل الثالث بالمرجعية التاريخية لمؤلفات الخطيب وتم التنويه من خلاله على المصادر التى اعتمد عليها ابن الخطيب فى استقاء مادته العلمية، والتى تنوعت ما بين المشاهدة والمعاصرة للأحداث، والروايات الشفهية والمدونات، بالإضافة إلى العديد من الوثائق والكتابات الأثرية أو النقوش.

أما الفصل الرابع وعنوانه "المنهج التاريخى لمؤلفات ابن الخطيب ورؤيته التاريخية" فقد اعتنى بالحديث عن مناهج الكتابة التاريخية عند لسان الدين بن الخطيب، وتم من خلاله توضيح المناهج التاريخية التى اعتمد عليها فى بناء مؤلفاته ومدى ما أحدثه من تطور خلال استخدامه هذه المناهج بالإضافة إلى تقنيات البحث العلمى المتمثلة فى اللغة والأسلوب، بوصفها وسيلة لعرض مادته. بالإضافة إلى توضيح الرؤية التاريخية وذلك عن طريق تناول إشكالية التعليل والتفسير والموضوعية والنقد والتركيز والاختصار، وأخيراً الربط بين أحداث الحاضر وأخبار الماضى.

وأخيراً اختتمت الدراسة بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التى تم التوصل إليها من خلال الدراسة ومنها أن ابن الخطيب كان رجلاً واسع الثقافة، متعدد الجوانب والاهتمامات الفكرية. ولعل إدراك ابن الخطيب لقيمة إنتاجه هو الذى ولد لديه تفاعلاً كبيراً معه فكان يذيعه بين الناس بشتى الوسائل حتى لا يضيع.

٢-رابح المغراوي. لسان الدين بن الخطيب وابن خلدون: دراسة تاريخية مقارنة/ إعداد رابح المغراوي؛ إشراف حسن علي حسن. القاهرة:ر.المغراوي،١٩٨٨. ٤٥٩ص. أطروحة (ماجستير). جامعة القاهرة، كلية دار العلوم. قسم التاريخ الإسلامي

هذه الدراسة بعنوان: (لسان الدين بن الخطيب و ابن خلدون : دراسة تاريخية مقارنة)، حيث تتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول. أما المقدمة: فقد تناولت أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف دراسته، ثم يتبع ذلك الدراسات السابقة، والمنهج

المتبع في الدراسة، ثم عرضٌ موجز لتقسيم الدراسة. وأما التمهيد: فقد تناول لسان الدين بن الخطيب و ابن خلدون : دراسة تاريخية مقارنة. وأما الفصول الأربعة فقد تناولت الحديث المفصل عن لسان الدين بن الخطيب و ابن خلدون : دراسة تاريخية مقارنة. تقوم الرسالة على المنهج الوصفي، وأما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الرسالة.

أولا:عصره. مملكة غرناطة ٦٣٠ه-٨٩٧ه

تمكن بعض الزعماء كابن هود وابن الأحمر من إنقاذ قسم ضئيل من الأراضي الأندلسية من الإسبان من بين الهزائم القاسية التي مُنى بها الموحدون. وفي غمرة الاضطراب والفوضى التى شملت الإمبراطورية الموحدية من أقصاها إلى أدناها، وفي غمار الثورة العارمة التي اجتاحت الأندلس ضدهم استطاعوا التمركز في بقعة صغيرة من الأرض جعلوا عاصمتها مدينة غرناطة التي قدر الله لها أن تبقى صامدة في وجه غزوات الإسبان لأكثر من قرنين ونصف من الزمان.

ولقد ثار ابن هود ضد الموحدين في شرقي الأندلس وأعلن خروجه على سلطان الموحدين وتلقب بملك المسلمين وأرسل إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٣٠هـ خطاباً يعترف بتبعيته له ويطلب تقليداً شرعياً منه، وكان الخليفة العباسي عند ظنه به فأرسل له تقليداً شرعياً.(حمادة،١٩٨٨،ص ص٥١٤-٥١٦)

وكان ابن الأحمر فارساً مقداماً، بسط قوته على قريته أرجونة شمالي جيّان ثم استولى على جيّان سنة ٦٢٩هـ من ابن هود ثم على بَسْطة ووادي آش شمالي غرناطة، ثم على غرناطة نفسها سنة ٦٣٥هـ واتخذها عاصمة وامتد سلطانه في الشرق إلى مالقة والمرية غير أنه اضطر إلى التخلي عن جَيَّان سنة ٦٤٣ لملك قشتالة، وعقد معه معاهدة التزم فيها بتقديم عون له في استيلائه على إشبيلية سنة ٦٤٦هـ واتسع بسلطانة إلى شمالي مالقة والمرية حتى لورقة وجنوباً حتى جبل طارق والجزيرة الخضراء، وحتى شريش وشذونة في الجنوب الغربي لغرناطة ومكنته حنكته السياسية من تثبيت ملكه طول مدة حكمه حتى سنة ٦٧١هـ.(ضيف،١٩٨٩،ص٤٤)

وخلف محمد الفقيه أبيه ابن الأحمر في حكم غرناطة، وسرعان ما هاجمه ألفونس

العاشر ملك ليون فاستنجد بالمنصور عبد الحسن سلطان المرينيين بالمغرب فأرسل إليه قوة كبيرة والتقى الجمعان جنوبي قرطبة سنة ٦٧٤هـ وانتصر المسلمون انتصاراً عظيماً. واتفق محمد الفقيه سلطان غرناطة وسلطان بنى مرين على أن تقيم في مملكة غرناطة قوة مرينية يرأسها قائد مريني يسمى شيخ الغزاة يدخل في عداد كبار الشخصيات بغرناطة، واتفق على أن تكون مالقة قاعدة للقوات المرينية، وعبر المنصور المريني مراراً وظل يشتبك مع القشتاليين حتى أذعنوا لمسالمة محمد الفقيه وتوفى سنة ٧٠١هـ.

وخلفه ابنه محمد المخلوع سنة ٧٠٨هـ وولى بعده أخوه نصر حتى سنة ٧١٣ إذ تنازل لابن عمه إسماعيل والتقى بالقشتالين سنة ٧١٨هـ ودارت عليهم الدوائر، وله فضل في إقامة بعض منشآت قصر الحمراء واغتيل سنة ٧٢٥هـ. وخلفه ابنه أبو الحجاج يوسف الأول، وفي أيامه استولى القشتاليون على طريفة المشرفة على جبل طارق واغتيل أبو الحجاج يوسف الأول سنة ٧٥٥هـ. وخلفه ابنه محمد الخامس الملقب بالغني بالله وله القسط الأوفر من منشآت قصور الحمراء .(ضيف،المصدر السابق نفسه،ص ص٤٤-٤٥)

ويمتاز السلطان محمد الخامس الغني بالله من بين سلاطين غرناطة بشخصيته القوية وذكائه ونشاطه المتميزين وكذلك دهائه في علاقاته السياسية مع ملوك الإسبان وملوك بني مرين في المغرب الأقصى ومع حكام مصر وملوكها من المماليك. وقد منح مملكته فترة من الاستقرار النسبي ونبغ في كنفه الأديب والوزير المشهور لسان الدين الخطيب الذي كان علماً من أعلام النثر العربي وصاحب مدرسة خاصة هي امتداد وتطوير لمدرسة كبار الكتاب الذين نبغوا زمن الأيوبيين والمماليك أمثال القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني.(حمادة،مصدر سابق،ص ٥٢٠)

وتوفى محمد الغني بالله في سنة ٧٩٣هـ. وقد كان على علاقة جيدة بملك القشتاليين استمرت بعده في علاقات ابنه يوسف وحفيديه محمد ويوسف المتوفى سنة ٨٢٠هـ وتلا يوسف أمراء ضعاف دب الخلاف بينهم وبين أبناء عمومتهم ولم يلبث أن استولى القشتاليون على جبل طارق سنة ٨٦٧هـ وبذلك أصبحت غرناطة محاصرة بالقوات المسيحية.

وبالإضافة لحصار القوات المسيحية لغرناطة من كل مكان، نشبت حروب بين أبناء الأسرة الحاكمة كانوا يستعينون فيها بملوك قشتالة. وأخذ ذلك ينذر بنهاية مملكة غرناطة وعجل بها زواج فرناند ملك أراجوان من إيزابيلا ملكة قشتالة فتعاونا على القضاء على غرناطة وقدما بقوات ضخمة استوليا بها على بعض المدن الصغرى ثم حاصرا غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس، واستسلم أبو عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة وسلم مفاتيح الحمراء لفرناند سنة ٨٩٧هـ. ونصت معاهدته معه على أن يحتفظ المسلمون في غرناطة والأندلس بكامل حقوقهم وبمساجدهم وإقامة شعائرهم الدينية، ولكن الإسبان ضربوا بكل ذلك عرض الحائط واضطهدوا المسلمين المتبقين أسوأ اضطهاد إلى أن أصدر الملك فيليب الرابع سنة ١١١٧هـ أمراً بخروجهم من إسبانيا.(ضيف،١٩٨٩،ص٤٥)

و فى مملكة غرناطة بذل سلاطين بنو الأحمر أقصى ما في وسعهم في سبيل نشر العلم والثقافة في ربوع مملكة غرناطة، وتحديداً في العاصمة نفسها، فقد شجعوا العلماء والأدباء والكتاب وعمر بلاطهم بمشاهير منهم. كما عملوا على تشييد المدارس والمكتبات في المساجد ودور العلم، وكانوا يتفانون في سبيل توفير المناخ العلمي بالعاصمة غرناطة إحياءً لذكرى قرطبة الأموية وأملاً في أن تختلف غرناطة عن قرطبة في هذا الميدان.

وبأمر من السلطان أبو الحجاج يوسف الأول ٧٣٣ هـ - ٧٥٥هـ أنشئت في سنة ٧٥٠هـ المدرسة اليوسفية وتسمى مدرسة غرناطة والمدرسة النصرية، وتوجد كثير من اللوحات الخاصة بتلك المدرسة محفوظة في المتاحف الإسبانية. وقد نظم لسان الدين ابن الخطيب وزير هذا السلطان قصيدة تشيد بالمدرسة ومنشئها وكانت منقوشة على إحدى حوائط هذه المدرسة. ويذكر أن ابن الخطيب أوقف على المدرسة اليوسفية نسخة خاصة من كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" اعترافاً منه بيد السلطان أبي الحجاج عليه ولانتفاع الدارسين به.(شبانة،٢٠٠٩،ص ص١٧٨-١٧٩)

وقد تولى التدريس في المدرسة اليوسفية نخبة من العلماء الذين ازدهرت بهم العاصمة غرناطة منهم أبو سعيد خرج بن لب ٧٠١ه-٧٧٠هـ والشيخ أبو جعفر أحمد بن على الأنصارى ٧٢٤ه-٧٧٠هـ وهما من أشهر أساتذة هذه المدرسة وتربطهما بلسان الدين بن الخطيب معاصرهما ٧١٣ه-٧٧٦هـ صلات أدبية وعلمية.

وازدهرت حركة التأليف والتصنيف في الآداب والتراجم في غرناطة و ظهر عدد كبير من الأدباء المعروفين في هذا الوقت ونذكر منهم الأديب المؤرخ لسان الدين بن الخطيب الغرناطى صاحب المؤلفات الكبرى في شتى نواحي المعرفة بحيث يعد إنتاجه موسوعة علمية حقاً فقد كتب في التاريخ والأدب والفلسفة والتصوف والطب والموسيقى والفلك والسياسة، وقد بلغ ما كتبه حوالي خمسة وستين كتاباً، للأسف فقد معظمها وقت محنة نزوحه من الأندلس إلى المغرب في أخريات أيامه. ومن أهم مؤلفات ابن الخطيب والتي تشهد بازدهارها الحركة العلمية والأدبية بغرناطة موسوعته الكبيرة "الإحاطة في أخبار غرناطة".

وقد نبغت طائفة من علماء غرناطة في علوم مختلفة كتفسير القرآن الكريم وشرح الحديث واستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة. ونذكر من علماء القرآن في غرناطة أبو عبد الله الشريشي تلميذ ابن الخطيب. وكذلك ظهر كثير من الأعلام الذين اشتغلوا بالتصوف مثل أبا إسحاق إبراهيم بن يحيى الأنصاري ٦٨٧هـ - ٧٥١هـ، وأبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري ٦٤٩هـ - ٧٥٤هـ ومن أهم كتبه "بغية السالك في أشرف المسالك" في مراتب الصوفية.

وفى علم الجغرافيا والتاريخ نذكر في مقدمة المؤرخين لسان الدين بن الخطيب الذي خصص الكثير من مؤلفاته للتاريخ الإسلامي وجغرافية المغرب والأندلس ونذكر منها كتاب "معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار".

ظهر في غرناطة أيضاً علماء كتبوا في الطب والفلسفة مثل أبي زكريا يحيي بن هذيل حكيم غرناطة وفيلسوفها.

ومن كل ما سبق يتضح لنا كيف ازدهرت الحياة الثقافية والعلمية والأدبية في مملكة غرناطة في دولة بنو الأحمر وظلت مركزاً للثقافة الإسلامية في الغرب الأوروبى.(شبانة،٢٠٠٩،ص ص١٨٠-١٨٣)

ثانيا: حياته

يعتبر ابن الخطيب أعظم شخصية ظهرت في الأندلس في القرن الثامن الهجري فقد كان ابن الخطيب عبقرية متعددة المواهب فهو طبيب وفيلسوف وكاتب وشاعر رفيع

الشأن ومؤرخ بارع ووزير وسياسي ثاقب النظر.

كان ابن الخطيب بعبقريته وقوة نفسه وأصالة تفكيره، وروعة بيانه وقوة شعره يمثل أعظم ما انتجت الأندلس من النماذج العلمية والأدبية التي تزين تاريخ الأندلس الفكري والثقافي. ولغزارة انتاجه الفكري فهو يشارك في كتب تراجم هذا العصر بأربعة كتب، وقد دَوّن ابن الخطيب ترجمة كاملة لنفسه في نهاية كتاب "الإحاطة".

وابن الخطيب هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي ابن أحمد السلماني الملقب بلسان الدين. واستقر سلف ابن الخطيب أولا في قرطبة ثم غادروها بعد ثورة أهلها أيام الحكم بن هشام أمير الأندلس واستقروا في طليطلة قرابة قرن ونصف ولما شعرت الأسرة في أواسط القرن الخامس الهجري بالخطر المحيط بطليطلة في مطامع النصارى غادروا إلى مدينة لوشة التي ولد فيها ابن الخطيب.

ولد ابن الخطيب في لوشة في سنة ٧١٣هـ ونشأ في بيت علم وفضل. ونشأ ابن الخطيب في غرناطة التي انتقلت إليها أسرته وكانت غرناطة في هذا الوقت أعظم مركز للدراسات الإسلامية في الغرب الإسلامي وكانت مجمع جمهرة من علماء وأدباء الأندلس.

درس ابن الخطيب اللغة والشريعة والأدب على جماعة من أقطاب العصر، ودرس الطب والفلسفة على حكيم العصر وفيلسوفه الشيخ أبي زكريا يحيي بن هذيل وكان الطب والأدب أهم ما تفوق فيه ابن الخطيب منذ حداثته، وكان أبوه وقتها يشغل مركزا في القصر في خدمة السلطان أبي الوليد اسماعيل وتقدم فيما بعد في الخدمة السلطانية وخدم في ديوان الإنشاء.

وتأثر ابن الخطيب بحياة والده في ظل السلطان ولما توفي والده دُعي للخدمة مكانه وكان وقتها في الثامنة والعشرين من عمره وتولى أمانة السر لأستاذه الرئيس أبي الحسن بن الجيّاب وزير السلطان وكاتبه المقرب.

وتلقى ابن الخطيب في ديوان الإنشاء على يد أستاذه الكاتب الشاعر المبدع ابن الجيّاب أرفع أساليب النظم والنثر في العصر وظهرت براعته في الرسائل السلطانية. ولما توفي ابن الجيّاب خلفه ابن الخطيب في رياسة الكتاب ورياسة ديوان الإنشاء ومنحه

السلطان أبو الحجاج يوسف رتبة الوزارة وألقابها، وهنا تألق نجم ابن الخطيب وعظمت منزلته وأغدق عليه السلطان عطفه وجعله كاتب سره ولسانه في المكاتبات السلطانية.

ولما توفي السلطان يوسف أبو الحجاج في سنة ٧٥٥هـ خلفه في الملك ابنه السلطان أبو عبد الله محمد الذي لُقب فيما بعد بالغني بالله، واستمر الحاجب رضوان في رياسة الوزراء واستمر ابن الخطيب في منصبه معاونا له، ونُدب للوصاية على الأمراء القُصّر أبناء السلطان المتوفى وأرسله السلطان الجديد سفيرا عنه إلى السلطان أبي عنان المريني عاهل المغرب على رأس وفد من رجالات الأندلس وهو يعرب في رسالته إليه عن أمله في تجديد الصلة والمحبة التي كانت بينه وبين أبيه ويستنصره ويطلب منه العون في مقاومة ملك قشتالة. واستقبله السلطان المريني بترحاب وحفاوة سنة ٧٥٥هـ. واستأثر ابن الخطيب بثقة الغني بالله كما استأثر بثقة أبيه وأُطلق عليه لقب ذي الوزارتين لجمعه بين الكتابة والوزارة.

ونشبت ثورة في غرناطة عام ٧٦٠هـ فقد فيها الغني بالله ملكه وفقد ابن الخطيب منصبه وأملاكه ومتاعه لكن محنة ابن الخطيب لم يطل زمانها وسرعان ما جاء الإنقاذ فقد كان السلطان الغني بالله على علاقة مودة وثيقة بملك المغرب فأرسل سفيرا إلى غرناطة يسعى إلى الحكومة الجديدة ويطلب رحيل السلطان الغني بالله ووزيره ابن الخطيب إلى المغرب واستجاب السلطان اسماعيل لرغبة سلطان المغرب حفظا لمودة بني مرين واستبقاء لنجدتهم ومعاونتهم التي أنقذت الأندلس من النصارى. وهكذا نجح السفير في مهمته وأُفرج عن ابن الخطيب ولحق بسلطانه بوادى آش فعبروا البحر وانتقلوا من ثغر مربلة الصغير إلى ثغر سبتة ثم سافر إلى فاس فوصلوها سنة ٧٦١هـ واستقبلهم السلطان واحتفل بقدومهم.

وكان المؤرخ ابن خلدون يومئذ من أكابر رجال الدولة في بلاط فاس، من شهود ذلك الحفل ووصف الحفل في تاريخه. والتقى ابن خلدون وابن الخطيب في هذا الحفل لأول مرة وكان هذا اللقاء حادثا في حياة كل منهما له أثره ونتائجه. وكان كلاهما وزيرا مطلق السلطان أو مستشارا لأمراء عصره وكان ابن خلدون يشغل في المغرب نفس المركز الذي يشغله ابن الخطيب في الأندلس، وقد استأثر بزعامة التفكير والكتابة في المغرب التي كان يستأثر بها ابن الخطيب في الأندلس وقد جمعت بينهما في البداية الصداقة والإعجاب

المتبادل، وكان كل منهما يحترم صاحبه ويجله، ويكبر مواهبه وخلاله، وقد ترجم كل منهما للآخر وذكره بما ينم عن خالص التقدير والإجلال وتبادلا طائفة من الرسائل الشخصية والسياسية تعتبر من أبدع نماذج النثر والترسل في هذا العصر.

وعاش ابن الخطيب في كنف سلطان المغرب، واستقر في ثغر سلا المشرق الجميل قرابة عامين وهو يدون في كتاب "نفاضة الجراب في علة الاغتراب"كثيرا من حوادث حياته في سلا، ويشيد بطيب إقامته فيها. وقد أنجز خلال هذه الحياة الهادئة عددا من مؤلفاته ما بين منثور ومنظوم ومنها بعض مؤلفاته التاريخية المهمة مثل كتاب "اللمحة البدرية في الدولة النصرية" وكتاب "رقم الحلل في نظم الدول". وهكذا عاش ابن الخطيب في سلا عزيز الجانب موفور الرزق واقتنى بها الدور والرياض ووثقت الصداقة والمحبة بينه وبين ابن خلدون.

عندما استرد محمد الغني بالله عرشه أرسل إلى وزيره المنفي ابن الخطيب رسالة ينعته فيها بأكرم النعوت وأرفعها يخبره فيه بنجاحه وظفره، ويطلب إليه العودة إلى تقلد منصبه فنزل ابن الخطيب على رغبة مليكه وغادر مقامه الهادىء في سلا وجاز إلى الأندلس ومعه أسرة السلطان وولده ووصل غرناطة في أواخر شعبان من سنة ٧٦٣هـ. وفي الثامن من شهر رمضان أصدر السلطان مرسوما باعادته إلى منصبه وقلده فيه الوزارتين وهكذا أعاد ابن الخطيب إلى سابق مكانته في الوزارة ولكنه لم ينعم بسابق حظوته إذ كان ينافسه عند السلطان شيخ الغزاة عثمان بن أبي يحيي وشيخ الغزاة تعني القائد العام للجيش وفي رمضان سنة ٧٦٤هـ استعاد ابن الخطيب سلطانه المطلق.

وفي ذلك الحين وفد صديقه ابن خلدون على الأندلس، فبعد أن فقد نفوذه وسطوته في بلاط فاس واضطرته الظروف السياسية والثورات المتوالية إلى مغادرة المغرب. وكان ابن خلدون قد قدم للسلطان الغني بالله أثناء إقامته بفاس كثير من الخدمات، فاستقبله حين قدم إلى غرناطة في أوائل سنة ٧٦٤هـ استقبالا حافلا وكذلك استقبله صديقه ابن الخطيب في البداية بمنتهى الترحاب والمودة ولكن يبدو أنه أصابه الضيق بما ناله ابن خلدون من حظوة بالغة لدى السلطان ففترت العلاقة بينهما ثم تبين ابن خلدون إعراض السلطان عنه وشعر بأثر ابن الخطيب في ذلك فغادر الأندلس وعاد إلى المغرب سنة ٧٦٦هـ. وكان ابن الخطيب يتمتع في هذه المرحلة من حياته الوزارية

بالسلطان المطلق وكان استئثاره بالسلطان والنفوذ على هذا النحو يزيد من سخط منافسيه ويثير حوله الكثير من البغض والحسد وكان السلطان يترك له زمام الأمور ولكنه في النهاية تأثر بسعايتهم ورأى في سلطان ابن الخطيب اعتداء على سلطانه.

وشعر ابن الخطيب بأن سلطانه قد بدأ يتغير عليه وأخذ يتوجس شرا من العواقب وكان في مقدمة خصومه والساعين في حقه تلميذه ومعاونه في الوزارة والشاعر الكبير أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن زَمرك، وقاضي القضاة بغرناطة أبو الحسن علي بن عبد الله النُباهي. وكان الأول يتزعم ضد ابن الخطيب الخصومة السياسية، ويتزعم الثاني حملة أشد خطورة وهي اتهام ابن الخطيب بالخروج على أحكام الدين والشريعة اعتمادا على بعض ما ورد في كتبه. وبلغت الأمور ذروتها في أوائل سنة ٧٧٣هـ، وشعر ابن الخطيب أن الوشاية أثمرت وكان يتصل سرا بالسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن المريني ملك المغرب. ولما اطمأن ابن الخطيب إلى وعود السلطان عبد العزيز بالحماية والرعاية عول على مغادرة الأندلس واستأذن ابن الأحمر في تفقد التغور الغربية فلما وصل إلى جبل طارق هو وابنه علي وكانت جبل طارق وقتها من أملاك بني مرين. وكان السلطان عبد العزيز قد أصدر أوامره باستقبال ابن الخطيب وتجهيز السفن اللازمة لنقله هو ومن معه إلى المغرب. ونجحت الخطة وركب ابن الخطيب ومن معه البحر إلى سبتة ولكنه قبل أن يغادر جبل طارق بعث إلى سلطانه الغني بالله رسالة مؤثرة يودعه فيها ويوضح أسباب تصرفه ويطلب إليه المغفرة، ويؤكد له بقاءه على الود ويلتمس رعايته لأسرته وولده.

وكان عبور ابن الخطيب من جبل طارق إلى المغرب هاربا من وطنه على هذا النحو في غرة جمادى الآخرة سنة ٧٧٢هـ. واستقبله السلطان عبد العزيز المريني أجمل استقبال وأرسل في الحال سفيرا إلى غرناطة يسعى في استقدام أسرة الوزير المنفي، فأتى بها مكرمة وكان ذلك في أواسط سنة ٧٧٣هـ،

ولكن فرار ابن الخطيب على هذا النحو لم يهدىء من ثورة خصومه، بل كان على العكس حجة لديهم على إدانته، فضاعفوا سعيهم لملاحقته فاتهموه بالزندقة والخروج على شريعة الإسلام ونسبوا إليه في ذلك أقوالا ومقالات، مما جاء في بعض كتبه وأولوها وفق مقاصدهم، وزعموا أن كتبه التاريخية وما اشتملت عليه من تراجم الأحياء المعاصرين والأموات الأقربين وما يتخللها من الطعن فيها من قبيل الغيبة. وكان ابن زَمرك أكبر

مروج لهذه الدعاية وتولى صياغة الإتهام عدو ابن الخطيب اللدود القاضي النُباهي وأفتى بوجوب حرق كتبه التي هي موضوع الاتهام وتم ذلك في حضرة غرناطة في منتصف سنة ٧٧٣هـ بمحضر من الفقهاء والمدرسين من العلماء.

وبعد إحراق الكتب سجل القاضي أبو الحسن على ابن الخطيب تهمة الزندقة وصادق السلطان على حكمه وأرسل القاضي رسله بهذا الحكم إلى السلطان عبد العزيز المريني يطالب بتنفيذ حكم الشرع فأنف سلطان المغرب لهذا المسعى وعنف رسل الأندلس وردهم خائبين.

ولما توفي السلطان عبد العزيز بعد ذلك بقليل في شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٤هـ خلفه على العرش ولده الطفل السعيد، وغادر بلاط المغرب تلمسان إلى فاس وسار ابن الخطيب صحبة الوزير أبي بكر بن غازي القائم بأمر الدولة، ونزل بفاس في كنف الوزير ورعايته متمتعا بما كان يتمتع به أيام السلطان الراحل من المكانة والنفوذ وجزيل الصلات.

وحاول ابن الأحمر سلطان الأندلس أن يحمل الوزير ابن غازي على تشريد ابن الخطيب ونفيه فأبى وساءت العلاقات بين فاس وغرناطة ودفع ابن الأحمر بعض الخوارج من بني مرين على محاربة حكومة فاس وحدث انقلاب ونادى الثوار بولاية الأمير أحمد بن السلطان أبي سالم وحاول الوزير ابن غازي مقاومة الثوار فلم يفلح واقتحم الثوار مدينة فاس، فأذعن الوزير لمطالبهم وقام بخلع الملك الطفل السعيد والنزول على البلد الجديد(الضاحية الملوكية) ودخل السلطان أحمد البلد الجديد وجلس على العرش في أوائل المحرم سنة ٧٧٦هـ.

وكان ابن الخطيب أثناء ذلك قد لجأ إلى البلد الجديد وكان التفاهم قد تم بين ابن الأحمر(الغني بالله) وبين زعماء الفتنة بشأن ابن الخطيب ومصيره، فلما وقع الانقلاب المنشود بادر السلطان الجديد بالقبض على ابن الخطيب واعتقاله تنفيذا للعهد الذي قطعه لابن الأحمر ، ولم يدخر وزيره سليمان بن داود وكان من ألد أعداء ابن الخطيب جهدًا في تدبير هلاكه. وكان ابن الأحمر يود الانتقام منه لما أكده خصومه من غدره ودسائسه وتآمره مع السلطان عبد العزيز المريني على غزو الأندلس فبعث وزيره ابن زَمرك ليعمل

على تحقيق ذلك بالتعاون مع حكومة فاس. ووجهت إلى ابن الخطيب التهم القديمة التي وجهت له في غرناطة وصاغها أبو الحسن النُباهي في قرار اتهامه ورأى السلطان أحمد أن يعقد مجلسا خاصا من رجال الدولة وأهل الشورى واستدعى ابن الخطيب إليه لمناقشته ومواجهته بالتهم المنسوبة إليه وأفتى بعض الفقهاء المتعصبين بقتله ودس عليه الوزير سليمان بعض الأوغاد من حاشيته فطرقوا سجنه ليلا ومعهم بعض الخدم الأندلسيين الذين جاءوا مع سفراء ابن الأحمر وقتلوه في سجنه ودفن بالمقبرة الواقعة تجاه باب المحروق أحد أبواب فاس القديمة وكان ذلك في سنة ٧٧٦هـ وهكذا ذهب الكاتب والشاعر الكبير والمفكر العبقري ضحية الجهالة والتعصب والأحقاد السياسية.

كان ابن الخطيب من أعظم كُتّاب عصره وشعرائه بل هو من أعظم كُتّاب الأندلس وشعرائها على الإطلاق، وأعظم ما يتميز به هو وفرة التنوع في الموضوعات والمعاني. وتميز ابن الخطيب في نوع من النثر هو النثر الوزاري والسياسي. وجمع ابن الخطيب عدد جم من رسائله السلطانية في كتابه " ريحانة الكتاب" وترك لنا ابن الخطيب أيضا عددا كبيرا من الرسائل الأدبية ورسائل المودة والصداقة التي كان يتبادلها مع شيوخه وأقرانه وأصدقائه وأكابر معاصريه وقد أورد في الإحاطة كثير منها ونقل ابن خلدون بعضها.

ويتميز ابن الخطيب بالروح النقدية العالية فهو يبدي في تناول الشخصيات وفي وصفها وتحليلها مقدرة فائقة لا يكاد يجاريه فيها أحد من كُتّاب التراجم المسلمين، وابن الخطيب إلى جانب ذلك غزير المادة يبدي براعة شديدة في التنقل في نواحي الوصف من الأخلاق الشخصية إلى المواهب الأدبية والفنية، إلى الحوادث الجارية وهو في ذلك كله فنان موهوب يقدم هذا العدد الكبير من العلماء والكُتّاب والشعراء والوزراء والأمراء الذين يضمهم كتاب الإحاطة في صور متباينة تنم عن مقدرة أدبية وفنية فائقة.

وأما من ناحية التصنيف الأدبي فإن صفة المؤرخ هي الغالبة في كتابات ابن الخطيب فقد وضع أهم كتبه في التاريخ ومؤلفاته التاريخية من أقيم المراجع في تاريخ الأندلس والمغرب في القرن الثامن الهجري. وكتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" أضخم وأهم مؤلفاته وقد كتب إلى جانبه عدة مؤلفات تاريخية أخرى هي كتب " اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية"، "الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة

الثامنة"، و"نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" ومعظم هذه الكتب يتعلق بتاريخ العصر الذي عاش فيه ابن الخطيب وسير الملوك وأكابر الوزراء والعلماء والكُتّاب والشعراء الذين عاصرهم أو يقتربون من العصر الذي عاش فيه وإن كان منها ما يضم شيئا من تواريخ العصور السابقة كالإحاطة.

وكان ابن الخطيب رجل سياسة من الطراز الأول، وقد استطاع أن يوجه بعزمه وهمته سياسة الدولة النصرية أعواما طويلة سواء من ناحية دول إسبانيا النصرانية أو دول المغرب. وتبدو أصالته السياسية في كثير من رسائله ونبوءاته.

ترك لنا ابن الخطيب تراثا حافلا منوعا ما بين تاريخ وأدب وسياسة وتصوف وطب وشعر ونثر وقد بلغت مؤلفاته حولي ستين كتابًا. وقد وصل إلينا من هذا التراث أكثره،خاصة المجموعة التاريخية والأدبية التي هي في الواقع أهم ما صنفه ابن الخطيب والتي تلقي الضوء على تاريخ الأندلس والمغرب في أواسط القرن الثامن الهجري. ويبدو أن مؤلفات ابن الخطيب التي فقدت هلكت في محنة إحراق كتبه التي وقعت في غرناطة ٧٧٣هـ وهي من كتب الطب والتصوف والموسيقى وأن معظم كتبه التي نجت من تلك المحنة وصلت إلينا عن طريق المغرب. ومن كتبه التي وصلت إلينا:

١- *الإحاطة في أخبار غرناطة*

٢- *الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة.*

٣- *اللمحة* البدرية في تاريخ الدولة النصرية.

٤- *رقم الحلل في نظم الدول وهو عبارة عن تاريخ منظوم للدول الإسلامية.*

٥- *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*. ويعتبر من أهم كتبه بعد الإحاطة فهو فضلا عن ضخامة حجمه

يعتبر بالنسبة لابن الخطيب مذكراته الشخصية عن فترة من أهم فترات حياته وهي الفترة التي قضاها في عزلته في سلا من رجب سنة ٧٦١هـ إلى رجب سنة ٧٦٣هـ. (ابن الخطيب، ٢٠٠٩، مج٥ ص٦٤١؛ ابن العماد، ١٩٨٨، مج ٨ ص ٤٢٢؛ الشكعة،١٩٩١،ص ص٦٨٨-٦٩٨؛ (Elger, 2002, p300; Ballan, 2019, pp250-300; Sgarbi, 2020, pp145-1460

ثالثا: مؤلفات ابن الخطيب في التراجم الأندلسية

تعددت مؤلفات ابن الخطيب في التراجم الأندلسية وتنوعت، ونبدأ بموسوعته

الفريدة في التراث الأندلسي بصفة عامة وهو كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة". ويعتبر كتاب " الإحاطة" من أهم الكتب في تاريخ الأندلس وهو من أشهر مؤلفات صاحبه وتناول ابن الخطيب في الكتاب أخبار مدينة غرناطة في عصر مملكة بني الأحمر أو بني نصر من الناحية التاريخية والأدبية والجغرافية والسياسية والاجتماعية حتى عصر المؤلف عصر السلطان الغني بالله محمد الخامس ثامن ملوك بني الأحمر.

وفي كتاب "الإحاطة" يصف ابن الخطيب مدينة غرناطة وصفا سياسيا وأدبيا واجتماعيا في الحقبة التي عاش فيها، فيتحدث المؤلف عن تاريخ المدينة ويصفها وصفا شاملا وافيا ويقدم مع ذلك تراجم مستفيضة لأعلام هذه المدينة من القدماء والمعاصرين له من شتى التخصصات، وبذلك يمكن القول أنه يضمن الكتاب تراجم عامة لأعلام مدينة غرناطة.

وفي كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" اعتمد ابن الخطيب على ثلاثة أساليب لترتيب المحتويات؛ الأول ترتيب هجائي للمترجم لهم على الترتيب المغربي لحروف الهجاء ثم ترتيب طبقي للأعيان كما حددهم في المقدمة التفصيلية التي قدم بها للكتاب ثم ترتيب نوعي ويقصد به تصنيف التراجم إلى فئات لكل منها سمات مشتركة وهي هنا عند ابن الخطيب أنه في كل طبقة جعلها تنقسم إلى من سكن المدينة أو من طرأ عليها .

وقد تحدث ابن الخطيب عن اتجاهه هذا في ترتيب المحتويات في مقدمته التفصيلية للكتاب. يقول ابن الخطيب:

".....والترتيب الذي انتهت إليه حيلتي، وصرفت في اختياره مخيلتي، هو أني ذكرت البلدة حاطها الله، منبها منها على قديمها، وطيب هوائها وأديمها، وإشراق علاها، ومحاسن حُلاها، ومن سكنها وتولاها، وأحوال أناسها، ومن دال بها من ضروب القبائل وأجناسها، وأعطيت صورتها وأزحت في الفخر ضرورتها وذكرت الأسماء على الحروف المبوبة، وفصلت أجناسهم بالتراجم المترتبة، فذكرت الملوك والأمراء، ثم الأعيان والكبراء، ثم الفضلاء، ثم القضاة، ثم المقرئين والعلماء، ثم المحدثين والفقها، وسائر الطلبة النجباء ، ثم الكتاب والشعراء، ثم العمال الأثراء، ثم الزهاد والصلحاء، والصوفية والفقراء، ليكون الابتداء بالمُلك، والاختتام بالمسك، وليُنْظَم الجميع انتظام السّلك، وكل

طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة والاستقرار، أو طرأ عليها مما يجاورها من الأقطار..." . (ابن الخطيب،٢٠٠٩،ص٨٧)

وقد بدأ ابن الخطيب التراجم بمن اسمهم أحمد وبعد ذلك من اسمه محمد تقديرا للأسماء الكريمة لموافقتها لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم، أما ترتيب اسم عبد الله فقد وضعه في حرف اللام .

وأفرد ابن الخطيب في نهاية كل باب فصل للغرباء ويقصد بهم الأعلام الغرباء الوافدون على جزيرة الأندلس، هذا ولا يتضمن الكتاب تراجم للنساء. ويتضح مما سبق أن مستوى الترتيب في الكتاب مستوى مركب اعتمد فيه على ثلاثة طرق من طرائق الترتيب وهي الهجائي والطبقي والنوعي.

أما عن المحتوى الموضوعي في كتاب " الإحاطة" نجد أنه تناول فيه تاريخ مدينة غرناطة الشهيرة تاريخيا وأدبيا وجغرافيا وسياسيا واجتماعيا منذ فتح الأندلس حتى عصر المؤلف منتهيا بحكم السلطان الغني بالله محمد الخامس ثامن ملوك الدولة النصرية.

والكتاب يصف أدق وصف للتاريخ السياسي والثقافي لمدينة غرناطة حتى الحقبة التي عاش فيها المؤلف ويتحدث عن المراحل السابقة عليه ويتناول المدينة جغرافيا من حيث الطبيعة والأرض وسماتها ويقدم تراجم وافية للأعلام القدامى والمعاصرين له، وبفضل العناصر التي تحتويها التراجم ألقى المؤلف الضوء على كثير من جوانب الحياة في العصر فيتضمن الكتاب تاريخ الدولة النصرية – بنو الأحمر – منذ عصر مؤسسها محمد بن يوسف بن الأحمر حتى عصر المؤلف وذلك من خلال ما يقدمه ابن الخطيب من تراجم مستفيضة لملوكها المتعاقبين وما يقدمه من وثائق ورسائل وتعليقات تصور مختلف جوانب الحياة.

وتحدث ابن الخطيب في المقدمة التفصيلية التي صاغها للكتاب عن عناصر الترجمة التي حددها لنفسه أو مجموعة العناصر التي أراد أن يستوفيها في كل ترجمة. يقول ابن الخطيب:

"....وذهبت إلى أن أذكر الرجل ونسبه وأصالته وحسبه، ومولده وبلده، ومذهبه وأنحاله؛ والفن الذي دعا إلى ذكره، وحليته ومشيخته، أن كان ممن قيد علما أو كتبه؛

ومآثره إن كان ممن وصل الفضل بسببه؛ وشعره إن كان شاعرا؛ وأدبه وتصانيفه، إن كان ممن ألف في فن أو هذَبَه؛ ومحنته ثم وفاه ومنقلبه،إذ استرجع الله من منحه حياته ما وهبه...". (ابن الخطيب،٢٠٠٩،ص٨٨)

ويتضح من النص السابق عناصر الترجمة لدى ابن الخطيب و منهجيته في الكتاب والتي ألزم نفسه بها وحددها في المقدمة ويمكن تفصيلها أنه يذكر عن المترجم له:

١- الاسم والنسبة كاملا.
٢- تاريخ الميلاد ومكانه
٣- المذهب الذي ينتمي إليه.
٤- التخصص العلمي.
٥- شيوخه الذين أخذ العلم عنهم.
٦- كتبه وآثاره العلمية.
٧- شعره إن كان له نظم.
٨- تصانيفه ومؤلفاته.
٩- المحنة إن كان ممن امتحنهم الدهر.
١٠- تاريخ وفاته ومكانها.

ونلاحظ أن تراجم الكتاب طويلة مستفيضة ويرجع ذلك إلى كثرة المعلومات التي توافرت لدى المؤلف وكثرة عناصر الترجمة التي حددها لنفسه كقواعد يعتمد عليها في الترجمة على مدار الكتاب. وتضم تراجم ابن الخطيب تقييم ونقد للمترجم لهم .

وتحدث ابن الخطيب في مقدمة الكتاب عن الكتب التي تأثر بها وأنه رأى كثير من العلماء قد أرخوا لأوطانهم وحفظوا بذلك سير علمائهم وعليه أراد هو أن يحفظ فضل موطنه غرناطة، وكتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" يعتبر موسوعة عن مدينة غرناطة وهو كتاب تراجم عامة.

أما عن دوافع ابن الخطيب على تأليف هذا الكتاب فهو التأريخ للوطن ورجاله فقد تحدث كثير من المؤلفين الأندلسيين عن وطنهم الأندلس، وتفننوا في التعبير عن عشقهم لهذا الوطن وعمل كثير منهم على إثبات الفضل لهذا الوطن المغربي ورجاله وتميزهم في

شتى مجالات الحياة العلمية والثقافية.

تحدث ابن الخطيب في مقدمة الكتاب عن فضل علم التاريخ وعن افتتان كل مؤلف بالتأريخ لوطنه ورأى أن ينحو هو أيضا هذا المنحى لافتقار حضرة الأندلس للتأريخ لها بشكل متكامل ولتوضيح فضل رجالها وعلمائها. يقول ابن الخطيب بعد أن سرد كثير من أسماء العلماء الذين أرخوا لبلادهم وذكر كتبهم :

".... فداخلتني عصبية لا تقدح في دين ولا مَنْصِب، وحَمِيّة لا يُذم في مثلها مُتعصب....

ورأيت أن هذه الحَضْرة(يقصد الأندلس) التي لا خفاء بما وفر الله ،من أسباب إيثارها، وأراد من جلال مقدارها،جعلها ثغر الإسلام ومتبوأ العرب الأعلام، قَبيل رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.... فلست ببدع ممن فُتِن بحب وطن...فحب الوطن معجون بطينه.وقد كان أبو القاسم الغافقي من أهل غرناطة، قام من هذا الغرض بفرض، وأتى من كله ببعض فلم يشفِ من غُلّة ولا سد خَلّة ولا كَثّر قِلّة، فقمت بهذا الوظيف، وانتدبت فيه للتأليف...فلم أدع واحدة إلا استنجدتها،ولا حاشية إلا احتشدتها...ومن أراد أن يوازن هذا الكتاب بغيره من الأوضاع فليتأمل قصده ويثير كامنه..."(ابن الخطيب،٢٠٠٩،ص ص٨٣-٨٦)

ومن كتب التراجم التي ألفها ابن الخطيب أيضا كتاب "الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة" وهو كتاب تراجم لمجموعة من الأدباء والكُتّاب والعلماء والمقرين والفقهاء والخطباء والشعراء الذين عاصرهم المؤلف والتقى بهم. كما يضم الكتاب آثار ونماذج شعرية ونثرية كثيرة للمترجم لهم. ويمكن تصنيف الكتاب على أنه تراجم عامة مقيدة زمنيا بالقرن الثامن الهجري.

واعتمد لسان الدين بن الخطيب في هذا الكتاب على أسلوبين من أساليب ترتيب محتوياته من التراجم لذلك يعتبر الترتيب في الكتاب مركب حيث رتب الكتاب ترتيبا زمنيا طبقيا. وتضمن الكتاب مائة وثلاث ترجمة قسمهم إلى قسمين كبيرين كالتالي:

١- الذين قضوا نحبهم قبل تأليف الكتاب من رقم ١ إلى رقم ٨٤
٢- الذين كانوا ما يزالون على قيد الحياة عند تأليفه من رقم ٨٥ إلى رقم ١٠٣.

ثم قسم المترجم لهم إلى الطبقات التالية:

١- طبقة الخطباء والصوفية (من رقم ١ إلى رقم ١٩) وحظهم من الاجادة قليل.
٢- طبقة المقرئين والمدرسين(من رقم ٢٠إلى رقم ٣٠) وهم أقل شأنا من الطبقة السابقة في باب الشعر.
٣- طبقة القضاة (من رقم ٣١ إلى رقم ٥٤) وهي طبقة ضعيفة البيان لاقتصار مداركهم على علوم الأديان ويندر فيها المُجيد.
٤- طبقة من خدم أبواب الأمراء من الكُتّاب والشعراء (من رقم ٥٥ إلى رقم ١٠٣) وربما كانوا متميزين بالاجادة أكثر من أفراد الطبقات السابقة.

وترتيب الأسماء المركبة في موقعه من الترتيب الطبقي ولا يتضمن الكتاب تراجم للنساء. ويتضح أن مستوى الترتيب في الكتاب مستوى مركب لأنه اعتمد على طريقتين من طرائق ترتيب المحتويات.

أما عن المحتوى الموضوعي في كتاب "الكتيبة الكامنة" فهو يضم تراجم لمجموعة من الأدباء والكتاب والعلماء والفقهاء والخطباء والشعراء الذين عاصرهم ابن الخطيب بوطنه غرناطة والتقى بهم كما يضم نماذج من أشعارهم ونثرهم.

وترجم ابن الخطيب في هذا الكتاب لمائة وثلاثة من أعلام الأندلس ممن لقيهم هو بنفسه في غرناطة ويقدم الكتاب صورة عن الحياة الأدبية في القرن الثامن بالأندلس.

يقول ابن الخطيب في المقدمة:

".....فجمعت في هذا الكتاب جملة وافرة، وكتيبة ظافرة، مما لقيناه ببلدنا الذي طوينا جديد العمر في ظله، وطاردنا قنائص الآمال في حرمه وحله، ما بين من تلقينا إفادته، أو أكرمنا وفادته، وبين من علمناه وخرجنا، ورشحناه ودرجناه، ومن اصطفيناه ورعيناه، فما أضعناه، بعد أن وصفنا كل واحد منهم ....". (ابن الخطيب، ١٩٨٣،ص٢٩)

أما عن دوافع ابن الخطيب على تأليف كتاب الكتيبة الكامنة فيبدو أن تأليفه لهذا الكتاب اقترن بنيته على أن يؤدي فريضة الحج، وأنه لذلك تحدث في مقدمة الكتاب عن استنفاذه نصيبه من المغرب و أنه صرف وجهه إلى المشرق وأخذ يمني نفسه برؤية المشاهد الكريمة وأن يستدل قارىء الكتاب على نبل مكانة المؤلف في بلاده من نبل معاصريه.

يقول ابن الخطيب في المقدمة:

"..... أما بعد فإنني لما استوفيت أوطاري، واستكملت أدواري، وتشوفت ظلمي إلى مطالع أنواري، واستوعبت من صحبة المغرب حصتي، وختمت بالدعاء قصتي، ونزلت عن منصتي، وابتلعت غصتي....

صرفت إلى المشرق وجهي والعيشة قد ضاقت، والعمرة قد افاقت، نسأل الله تعالى أن يتم علينا فضله باحتلالها، وتسكين الأشواق في ظلالها، ويقر العيون باجتلاء جمالها....فجعلت الهدية من جنس ما تتشوف إليه النفوس الغنية، وتتجر في أسواقه الهمم السنية، فجمعت في هذا الكتاب جملة وافرة، وكتيبة ظافرة، مما لقيناه ببلدنا الذي طوينا جديد العمر في ظله، وطاردنا قنائص الآمال في حرمه وحله، ما بين من تلقينا إفادته، أو أكرمنا وفادته..... وسميت هذا الوضع بالكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، يستدل به من يباشره على نبل من كنا نعاشره..." .(ابن الخطيب، ١٩٨٣،ص ص٢٨-٢٩)

أيضا من مؤلفات ابن الخطيب كتاب " اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية" ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر وأكثرها ثقة من الكتب التي تناولت حياة دولة بني نصر في غرناطة وتناولت معها سير الأمراء والملوك الذين تعاقبوا على حكم غرناطة منذ نشأة مدينة غرناطة حتى عصر المؤلف.

وترجع أهمية كتاب "اللمحة البدرية" إلى أن ابن الخطيب اعتمد فيه سواء تاريخيا أوفي ترجماته لملوك هذه الدولة على كتب التاريخ الموثقة وعلى وثائق ومستندات معتمدة، كما اعتمد على روايات شفاهية من الملوك والكُتّاب والقضاة والأدباء الذين عاصرهم بنفسه، فضلا عن ذلك يتميز الكتاب بما تميزت به كتب تراجم ابن الخطيب من المنهجية والوصف الدقيق للمترجم لهم والتوثيق. وعلى هذا فيعتبر الكتاب تراجم متخصصة في ملوك مملكة غرناطة وأمرائها. والكتاب يعتبر من أهم المصادر وأوثقها في التأريخ للدولة النصرية وملوكها.

واعتمد ابن الخطيب في ترتيب محتويات الكتاب على الترتيب الزمني، ورتب ابن الخطيب الكتاب على خمسة أقسام منهم القسم الثالث في تراجم السلاطين والأمراء ورتب

هذه التراجم زمنيا بحسب تعاقبهم زمنيا. وأقسام الكتاب كالتالي:

القسم الأول: في ذكر المدينة (غرناطة) وما يتبعها.

القسم الثاني: فيما يرجع إلى هذه المدينة وأقاليمها.

القسم الثالث: فيمن تولاه من السلاطين والأمراء ورتبت هذه التراجم زمنيا من الأقدم إلى الأحدث في الولاية.

القسم الرابع: في عوائد أهلها وتقاليدهم.

القسم الخامس: في تتابع الدول فيها. (ابن الخطيب، ٢٠٠٧،ص٣١)

ويعتبر مستوى الترتيب في هذا الكتاب بسيط لأنه اعتمد على الترتيب الزمني فقط في ترتيب التراجم، وترتيب الأسماء المركبة في موقعه من الترتيب الزمني.

أما عن المحتوى الموضوعي في كتاب " اللمحة البدرية في الدولة النصرية " فهو مختصر لتاريخ دولة بني نصر أو بني الأحمر ملوك غرناطة. وقد أرخ ابن الخطيب في الكتاب لسلاطين دولة بني نصر أو بني الأحمر في غرناطة من أول مؤسس دولتهم أبي عبد الله محمد بن يوسف إلى عهد سلطانه محمد الخامس الغني بالله.

ويتميز الكتاب بما تميزت به تراجم ابن الخطيب، فالكتاب منسق منهجيا ويصف المترجم له وصفًا دقيقًا ويوثق معلوماته ومصادره.

وقد حدد ابن الخطيب كعادته عناصره التي يتناولها في كل ترجمة، و في كتاب "اللمحة البدرية في الدولة النصرية" عناصر الترجمة هي:

١- حال الملك وقت توليه المُلك.
٢- سيرته وأولاده.
٣- وزراؤه وقضاته.
٤- كُتّابه وشعراؤه.
٥- الملوك على عهده.
٦- أخباره.

٧- مولده ووفاته.
٨- ويذكر أشعار من له شعر منهم وجهاد من له جهاد منهم.
ويعد الكتاب من كتب التراجم المتخصصة في ملوك غرناطة.

ويتضح الدافع على تأليف ابن الخطيب لكتاب *اللمحة البدرية* أنه أراد التأريخ للدولة النصرية في مملكة غرناطة لمكانته الكبيرة من ملوكها وقربه منهم. يتحدث ابن الخطيب عن ذلك في مقدمة الكتاب، يقول ابن الخطيب:

"....أما بعد فإن في تاريخ الدول عبرة لأولي النهى، وذكرى لمن غفل.... لذلك ما جلبت في هذا الكتاب ذكر لملوك الدولة النصرية على نسق...إذ كنت جهينة أخبارهم وقطب مدارهم وزمام دارهم فذكرت نبذا من أخبار وطنهم الذي سكنوه، وأفقهم الذي حسنوه بسيرهم الحميدة....ومن دال به قبلهم من أمير أو ذي حسب شهير ثم تعاقبهم بحسب الزمان وسعة الإمكان، ومن اختص بهم من قاض وكاتب ووزير، أو كان على عهدهم من ملك كبير...وسميته باللمحة البدرية في الدولة النصرية..."(ابن الخطيب،٢٠٠٧،ص ٤١)

وفي كتاب *"أوصاف الناس في التواريخ والصلات"* ضَمّن ابن الخطيب الكتاب تراجم شخصيات أندلسية ومغربية معظمها ممن عاصروا المؤلف، وعاشوا أحداث القرن الثامن الهجري فيهم الكاتب والوزير والقاضي والقائد والعالم، بل منهم من حاز أكثر من رتبة من هذه الرتب. ومن هذا يتضح أن الكتاب تراجم عامة لأعلام العصر الذي عاش فيه ابن الخطيب.

اعتمد ابن الخطيب في ترتيب محتويات هذا الكتاب على أسلوب مختلف في الترتيب فهو اختار ترتيب محتويات كتابه بناءً على نسق معين ليس بالهجائي ولا الطبقي ولا الزمني ولا النوعي.

وبلغ عدد تراجم الكتاب مائة وسبعة وخمسين ترجمة لأعلام الشخصيات الأندلسية والمغربية معظمهم ممن عاصرهم ابن الخطيب .

وقسم ابن الخطيب الكتاب إلى قسمين كبيرين ؛أما القسم الأول فقد افتتحه بمن

سبق له أن أورده في كتاب *التاج المحلي* ويسترسل في إيراد التراجم في هذا القسم ويبلغ عددها ثمان وتسعين منتهيا بشخصية الأديبة أم الحسين بنت أحمد الطنجالي، ثم يبدأ في ترجمة القسم الثاني بالخطيب أبي عبد الله الساحلي المالقي ويبلغ عدد شخصيات القسم سبعا وخمسين حيث انتهى منهم بوصف أحد الفضلاء دون أن يحدد اسمه على غير عادته فيمن ترجم لهم في القسمين. ويأتي ذكر الأسماء المركبة في موقعه أيا كان في الأقسام السالفة الذكر ويتضمن الكتاب تراجم للنساء.

ويتضح مما سبق أن ابن الخطيب لم يعتمد في كتابه على أي أسلوب من الأساليب المعروفة لترتيب المحتويات بل اعتمد على تقسيمه الشخصي للكتاب وترتيبه الخاص للتراجم الواردة فيه ويمكن اعتبار مستوى الترتيب مستوى بسيط.

والمحتوى في كتاب *"أوصاف الناس في التواريخ والصلات"* اشتمل على تراجم لشخصيات أندلسية ومغربية معظمها ممن عاصروا المؤلف وعاشوا معه أحداث القرن الثامن الهجري فيهم الكاتب والوزير والقاضي والقائد والعالم.

وقد بلغ عدد تراجم هذا الكتاب مائة وسبعة وخمسين شخصية من أعلام الأندلس في هذه الفترة ويقدم ابن الخطيب في كتابه صورة موضوعية ومنهجية عرفت عنه في التأليف في التاريخ والتراجم.

ويقدم عنوان الكتاب صورة عن المصادر التي اعتمد عليها ابن الخطيب في كتابه وخاصة كتب التراجم التي كانت صلات لكتب أخرى مثل " الصلة " لابن بشكوال و" صلة الصلة " لابن الزبير، كما كانت المعاصرة أحد أهم مصادر ابن الخطيب في كتابه، والكتاب تراجم عامة لأعلام الأندلس في القرن الثامن الهجري. (ابن الخطيب، ١٩٧٧،ص٤)

وبالنسبة لكتاب *أوصاف الناس في التواريخ والصلات* فلم يقدم له ابن الخطيب بمقدمة تفصيلية كعادته في تراجمه ولم يتضح لذلك الدافع الذي من أجله ألّف الكتاب وإن من كان يبدو من عنوانه أنه من كتب الصلات التي كانت ظاهرة في التأليف في التراجم الأندلسية.

رابعا: الخصائص المنهجية للتأليف في التراجم عند ابن الخطيب

وبالمقارنة بين كتب ابن الخطيب الأربعة في التراجم أمكن التعرف على مجموعة من الخصائص المنهجية المرتبطة بالتأليف في التراجم عند ابن الخطيب.

١- بلغ عدد تراجم كتاب *الإحاطة* خمسمائة ترجمة، وبلغ عدد تراجم كتاب *الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة* مائة وثلاث ترجمة، وبلغ عدد تراجم كتاب *اللمحة البدرية في الدولة النصرية* عشرة تراجم لملوك الدولة النصرية بغرناطة، وبلغ عدد تراجم كتاب *أوصاف الناس في التواريخ والصلات* مائة وسبعة وخمسين ترجمة لأعلام الشخصيات الأندلسية والمغربية.

٢- اعتمد ابن الخطيب على الترتيب الهجائي والطبقي والنوعي في ترتيب محتويات كتاب *الإحاطة في أخبار غرناطة* وأفرد في نهاية كل باب فصل للغرباء ويقصد بهم الأعلام الوافدون على جزيرة الأندلس ولم يتضمن الكتاب تراجم للنساء وترتيب الأسماء دقيق وترتيب الأسماء المركبة في موقعه من الترتيب الهجائي غير أنه اضطرب في اسم عبدالله. وفي كتاب الكتيبة الكامنة اتبع ابن الخطيب الترتيب الزمني الطبقي وجاء ترتيب الأسماء المركبة في موقعه من الترتيب الطبقي ولا يتضمن الكتاب تراجم للنساء ولا أبواب للغرباء. وفي كتاب *اللمحة البدرية* اعتمد ابن الخطيب الترتيب الزمني بحسب تعاقب ملوك الدولة النصرية، وترتيب الأسماء المركبة في موقعه من الترتيب الزمني. وفي كتاب *أوصاف الناس في التواريخ والصلات* لم يعتمد ابن الخطيب على أسلوب محدد من أساليب ترتيب الأسماء فاختار ترتيب محتويات الكتاب على قسمين كبيرين وفي القسم الأول ثمان وتسعين ترجمة، والقسم الثاني سبعا وخمسين ترجمة ويتضمن الكتاب تراجم للنساء.

٣- اتسمت تراجم ابن الخطيب بالدقة في ترتيب الأسماء وإن أصاب الترتيب بعض الاضطراب في ترتيب اسم عبد الله في كتاب *الإحاطة*.

٤- في كل من كتابي *الإحاطة واللمحة البدرية* حدد ابن الخطيب منهجه في التراجم في

مقدمة الكتاب ووضع القواعد التي يتبعها في الترجمة على مدار كل كتاب ففي كتاب *الإحاطة* يذكر اسم المترجم له كاملا والنسبة، وتاريخ الميلاد، والمذهب الذي ينتمي إليه، والتخصص العلمي، والشيوخ الذين أخذ عنهم العلم، وكتبه وآثاره العلمية، وشعره إن كان ممن لهم نظم، وتصانيفه ومؤلفاته، وتاريخ وفاته ومكانها. وفي كتاب *اللمحة البدرية* حدد ابن الخطيب كعادته في المقدمة عناصر الترجمة فيذكر حال الملك وقت توليه الملك، وسيرته وأولاده، ووزراؤه وقضاته، وكتابه وشعراؤه، والملوك على عهده، وأخباره، ومولده ووفاته، وأشعار من له شعر منهم، وجهاد من له جهاد منهم. وفي كتاب *الكتيبة الكامنة* لم يحدد في المقدمة عناصر الترجمة، أما كتاب *أوصاف الناس في التواريخ والصلات* فلم يقدم له ابن الخطيب بمقدمة لا تفصيلية ولا توضيحية.

٥- اعتاد ابن الخطيب في تراجمه على ذكر مصادره في الكتاب في المقدمة واتضح ذلك في مقدمة كتاب الإحاطة.

٦- لا يفرد ابن الخطيب فصولا أو أبوابا للكنى والألقاب والنسب لأنه يذكر هذه العناصر في عناصر الترجمة وإن أفرد في نهاية الأبواب فصولا للغرباء أو الطارئين على جزيرة الأندلس.

٧- يميل ابن الخطيب في تراجمه إلى المنهجية والوصف الدقيق للمترجم لهم والتوثيق والنقد.

الخاتمة

وبالتعرف على حياة ابن الخطيب و دراسة دوره في تأليف كتب التراجم الأندلسية أمكن الوصول إلى مجموعة من النتائج:

١- كان عصر مملكة غرناطة من العصور المتميزة فكريا وثقافيا في دولة الإسلام في الأندلس

٢- يعتبر لسان الدين بن الخطيب من أعظم الشخصيات التي ظهرت في الأندلس في عصر مملكة غرناطة ولمؤلفاته المتنوعة دور كبير في إثراء التراث الأندلسي بأعمال متميزة في علوم كثيرة.

٣- عاش ابن الخطيب حياة حافلة وتولى منصب الوزراة مرتين ولقب بذي الوزارتين

٤- تعددت مؤلفات ابن الخطيب في ميدان التراجم فقدم لنا أربعة كتب تراجم

٥- يعتبر كتاب *" الإحاطة"* من أهم الكتب في تاريخ الأندلس وهو من أشهر مؤلفات ابن الخطيب وتناول فيه أخبار مدينة غرناطة في عصر مملكة بني الأحمر أو بني نصر من الناحية التاريخية والأدبية والجغرافية والسياسية والاجتماعية حتى عصر المؤلف عصر السلطان الغني بالله محمد الخامس ثامن ملوك بني الأحمر.

٦- اعتمد ابن الخطيب في كتاب *" الإحاطة"* على ثلاثة أساليب لترتيب المحتويات؛ الأول ترتيب هجائي للمترجم لهم على الترتيب المغربي لحروف الهجاء ثم ترتيب طبقي للأعيان كما حددهم في المقدمة التفصيلية التي قدم بها للكتاب ثم ترتيب نوعي ويقصد به تصنيف التراجم إلى فئات لكل منها سمات مشتركة هي هنا عند ابن الخطيب أنه في كل طبقة جعلها تنقسم إلى من سكن المدينة أو من طرأ عليها.

٧- ومن كتب التراجم التي ألفها ابن الخطيب أيضا كتاب *"الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة"* وهو كتاب تراجم لمجموعة من الأدباء والكُتّاب والعلماء والمقريين والفقهاء والخطباء والشعراء الذين عاصرهم المؤلف والتقى بهم. كما يضم الكتاب آثار ونماذج شعرية ونثرية كثيرة للمترجم لهم. ويمكن تصنيف

الكتاب على أنه تراجم عامة مقيدة زمنيا بالقرن الثامن الهجري.

٨- من مؤلفات ابن الخطيب في التراجم أيضا كتاب *"اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية"* ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر وأكثرها ثقة من الكتب التي تناولت حياة دولة بني نصر في غرناطة وتناولت معها سير الأمراء والملوك الذين تعاقبوا على حكم غرناطة منذ نشأة مدينة غرناطة حتى عصر المؤلف.

٩- وفي كتاب *"أوصاف الناس في التواريخ والصلات"* ضَمّن ابن الخطيب الكتاب تراجم شخصيات أندلسية ومغربية معظمها ممن عاصروا المؤلف، وعاشوا أحداث القرن الثامن الهجري فيهم الكاتب والوزير والقاضي والقائد والعالم، بل منهم من حاز أكثر من رتبة من هذه الرتب. ومن هذا يتضح أن الكتاب تراجم عامة لأعلام العصر الذي عاش فيه ابن الخطيب.

مصادر البحث

أولا: المصادر العربية

١- ابن الخطيب، ت٧٧٦هـ (٢٠٠٩) . الإحاطة في أخبار غرناطة/ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني؛ مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي. – الجزائر: دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع. – ٢مج.

٢- _____(١٩٧٧) . أوصاف الناس في التواريخ والصلات تليها الوزاجر والعظات/ تأليف لسان الدين ابن الخطيب السلماني؛ تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة. – المغرب: صندوق إحياء التراث الإسلامي. – ٢٠٠ص.

٣- _____(١٩٨٣). الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة/ تأليف لسان الدين بن الخطيب؛ تحقيق احسان عباس. – بيروت: دار الثقافة. – ٣٢٠ص.

٤- _____(٢٠٠٧) . اللمحة البدرية في الدولة النصرية/ أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب؛ دراسة وتحقيق محمد مسعود جبران. – ط١. – بيروت: دار المدار الاسلامي. – ١٩٦ص.

٥- ابن العماد، شهاب الدين (١٩٨٨). شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ لشهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي؛ تحقيق محمود الأرناؤط؛ إشراف عبد القادر الأرناؤوط. – ط١. – بيروت: دار ابن كثير . – ١١مج.

٦- الحلوجي، داليا عبد الستار(٢٠٠٤) . كتب التراجم في التراث العربي من بداية القرن السابع حتى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة/ إعداد داليا عبد الستار الحلوجي؛ إشراف سعد محمد الهجرسي، حامد زيان غانم . – القاهرة: د. الحلوجي . – ٢٥٠ص. – جامعة القاهرة. كلية الآداب. قسم المكتبات والوثائق والمعلومات. (أطروحة دكتوراه)

٧- الشكعة، مصطفى (١٩٩١). مناهج التأليف عند العلماء العرب: قسم الأدب. – ط ٦. – بيروت: دار العلم للملايين . – ٧٨٨ص.

٨- حمادة، محمد ماهر (١٩٨٨). دراسة وثقية للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسورية ومصر ٤٠-٩٢٢هـ/ ٦٦١-١٥١٦م. – ط١. – بيروت: مؤسسة الرسالة. – ٥٥٩ص

٩- شبانة، محمد كمال (٢٠٠٩). الأندلس: دراسة تاريخية حضارية. – ط ٢. – القاهرة: دار العالم العربي. – ١٩٢ص.

١٠- ضيف، شوقي (١٩٨٩). تاريخ الأدب العربي. عصر الدول والإمارات: الأندلس. – القاهرة: دار المعارف . – ٥٥٢ص. – (تاريخ الأدب العربي؛٨)

١١- عنان، محمد عبد الله (١٩٩٧) . دولة الإسلام في الأندلس. العصر الرابع. نهاية الأندلس. – ط٤. – القاهرة: مكتبة الخانجي. – مج ٥. – ٥٤٦ص.

ثانيا: المصادر الأجنبية

1- Ballan, M. (2019). The scribe of the ALHAMBRA: LISAN AL-Din IBN AL-KHATIB, sovereignty, and history in NASRID GRANADA. – Chicago: M. Ballan. – 620P. – The University of Chicago. The faculty of social science. (Doctor of Philosophy

2- Elger, Ralf (2002). Adab and historical memory. The Andalusian poet/politician Ibn Al-Khatib as presented in Ahmad al-Maqqari (986/1577- 1041/1632), Nafh at-tib. Die welt des Islams, New series, vol.42, Issue 3, Arabic literature, and Islamic scholarship in the 17th /18th century: topics and biographies. – PP189-306

3- Sgarbi, M, M. (2020). Encyclopedia of Renaissance philosophy. – Switzerland: Springer nature. – PP145-153